لغز الأليون عبر العصور

من الخطأ الظنّ بأن الرجل الآلي هي فكرة العصر الحديث .. فالحقيقة غير ذلك .. لأنه تمّ اختراع النماذج الآلية منذ العصور السحيقة ، وان كانت بأشكالٍ بدائية .. لكن تاريخ هذه المحاولات في حدّ ذاتها تثير العجب وتدعو للإحترام..

فقد بزغ فجرها منذ القرن الأول للميلاد .. نعم !! أنت لم تخطئ في قراءة التاريخ .. ففي أثناء تلك الحقبة ، تمّت اول جهود (هيرون) بالإسكندرية ، والنتيجة كانت : آلات ذات حركة ميكانيكية بسيطة تعمل بالبخار..

ثم أشرق نهار العرب .. حيث قام (بديع الزمان الجزري) بالمزج بين الحس العلمي والفني ، فصنع عام ١٢٠٦م فرقة موسيقية من أربعة عازفين ميكانيكيين يعملون بشكلٍ ذاتي ، ويمكنك دفعهم لتقديم مقطوعات موسيقية ..

و استمرّ ملف الروبوتات بين أيديّ الفنانين ، ليمنحنا العبقري الإيطالي (ليوناردو دافنشي) تصميماً لفارس يمكنه تنفيذ حركاتٍ محدودة ..

إلى ان جاء أحفاد الساموراي حين قدّم (تاناكا هيساشجي) عام ١٨٠٠م ، عدداً من الألعاب التي يمكنها أن تقدّم الشاي ، وان ترسم ، ومنها ما يستطيع اطلاق السهام ..

هذا كلّه كان في عهد الإجتهادات الأولى .. ثم بدأنا نرى معرضاً كاملاً للرجال الآليين ، قدّمتهم شركة (ويستنغهاوس) بين سنة ١٩٣٠، ١٩٤٨م .. حيث ظهر إلسي وإلمر ، من إنتاج (وليم جراي والتر) حيث بإمكانهما اظهار بعض السلوكيات البيولوجية البسيطة ..

ثم بدأت القفزات تتسارع حين قدّم (جورج ديفول) آليا مثبتاً عام ١٩٦١م ، لأجل رفع قطع المعدن الساخنة من آلة ومن ثم رصّها .. أتبعه بعامين (فوجي يوزوكي) بروبوت للنقل الآلي .. وتعتبر بلده اليابان أكبر دولة إستخداماً لهذه الآلات في الصناعة التحويلية..

حيث أزاحت مجموعة كوكا الستار عن (فاميولس) مع ستة محاور كهروميكانيكية ، وذلك سنة ١٩٧٣م ..

في عالم اليوم .. يمكننا رؤية أشكال أكثر تطوراً مثل : " بي ٣ " ذو القامة التي تقارب الإنسان اي (١٦٠ سم) ولديه إمكانية القفز ، العدو ، فتح الأبواب ، وحتى مشاركتك لعب التنس!

كما تطوّر جامعة " ريفنج " آليا في مجال التفاعل مع الإنسان ، خاصّ بالإعتناء بالأطفال المصابين بالتوحّد ..

و في نفس هذه الجامعة يعمل الباحث (كيفن) المتخصّص في تطوير وسائل التفاهم بين البشر والآلة .. وقد وصل لنتائج مبهرة عبر صناعة رقاقة مجهرية ، حقنها تحت جلد ذراعه الأيسر ، وولّدت نوعاً من التواصل ! بحيث كان العقل

الإلكتروني يدرك مكانه في أية لحظة ، فيشعل أنوار المختبر عند دخوله ، ثم يلقي عليه التحيّة !

يمكننا القول ان مستقبل هذه التقنية تبشّر بالخير لتحكّمٍ أفضل بالآلات،حيث لن تحتاج لاحقاً لإعطاء أوامر صوتية أو النقر على الأزرار.. بل يكفي إشارة من يدك أو صوت فرقعة الأصابع ..

كما يطمح آخرون إلى أفقٍ أبعد ، بأن نتصل بالإنترنت عبر أفكارنا ، ومن ثم بثّها مباشرةً إلى الجهاز العصبي لشخصٍ آخر ، وهي نفس الفكرة التي صاغها عبد الصمد الغزواني في قصته (كهف حرّ) حيث تحدّث عن الآثار السلبية لعالم ينتهك خصوصية العقول ، ويجعلها مفتوحة كأيّ حاسب متصل بالشبكة العالمية .. وقد نالت قصته جائزة (نبيل فاروق) للخيال العلمي ..

ولوّ رجعنا لأول من أعطى كلمة روبوت ، فهو التشيكي (كارل كيبيك) سنة ١٩٢١م ، في مسرحية " R.U.R " التي تدور احداثها : عن آليين من لحمٍ اصطناعي ، تستخدمهم إحدى المصانع كعمالة رخيصة ، ويتميزون عن الذين نعرفهم بأنهم يملكون درجة عالية من المشاعر ، أي يشعرون ويحلمون ويغضبون ايضاً!

لكن الحقيقة ان الكاتب الذي أخذ العلماء قوانين الآليين من قصصه ، هو المعجزة : إسحاق أزيموف (١٩٢٠– ١٩٩٢م)

فهو الذي وضع اول قائمة من قوانين الآليون:

١. لا يسمح للآلي بأذيّة البشر ، أو التقاعس عن أمرٍ يؤدي إلى ضررٍ ما

٢. يجب عليه طاعة أيّ أمر صادر من الإنسان ، فيما لا يتعارض مع القانون الأول

٣. على الروبوت حماية وجوده ، طالما لا يعارض ذلك القانون الأول والثاني

وقد تنبّأ (أزيموف) بهذه القوانين ايضاً في مجموعته القصصية I " Robot"التي تحوّلت إلى فيلم سينمائي يحمل نفس الإسم ، بطولة ويل سميث الذي يؤدي دور شرطي (الكاره للآليين) الذي يحقّق في جريمة قتل ، والمشتبه به رجل آلي.. وقد بدأ الفيلم في مشهده الأول : بتصوير لوحة رخامية سطّرت عليها : قوانين أزيموف الثلاثة..

وكعرفان بالصنيع ، كرّمت شركة هوندا اسم الكاتب العظيم ، فأطلقت على أحدث أجيال روبوتاتها " أزيمو.. "

وإذا بحثنا عن صورة له في أرشيف رويرز ، سنجده يعلّم الطلاب الرقص .. اقصد ان الآلي أزيمو هو المعلم ، وليس الكاتب ..

وبالنهاية لابد ان نذكر الكاتب الأميركي فيليب كي ديك (١٩٢٨-١٩٨٢م) الملقّب بالكاتب الآلي ، حيث منحنا واحدة من الروايات الخالدة عن العقول الإلكترونية ، وتحمل اسم " هل تحلم الروبوتات بالخراف

الإلكترونية " .. ويقال أن هذه الرواية هي مصدر إلهام شركة "سوني" ، عندما صنعت الكلب (aibo)

الخاتمة:

يمكن اعتبار اننا نعيش اليوم عصر الروبوتات الآليون ، الذي يكاد لا يخلو يوم من اختراعٍ جديد يُضاف لعالم الآليين